الفصل الثالث عشر

الأمن الفكري
ودوره في مواجهة ظاهرة التطرف
في المجتمعات الإسلامية

الفصل الثالث عشر
الأمن الفكري ودوره في مواجهة ظاهرة التطرف في المجتمعات الإسلامية (*)

مقدمة الدراسة:

تسعى المجتمعات البشرية عامة، والمجتمع السعودي خاصة إلى تحقيق الكمال والأمن والاستقرار والرفاهية لأفرادها، ولقد فطنت التربية المعاصرة إلى أهمية الأمن في حياة الفرد والمجتمع فجعلته هدفاً من أهم أهدافها، وراحت تبذل كل جهدها وثرواتها لتحقيقه لأفرادها خصوصاً بعد تزايد معدلات الجريمة وزعزعة الأمن، وانتشار بعض الظاهرات السلبية مثل ظاهرة التطرف، وخاصة أن الأمن عامة، والفكري على وجه الخصوص يعد بمثابة التربة الخصبة التي تزدهر فيها الحياة، ويسعى الجميع من خلاله إلى البناء وتحقيق الرفاهية. ويرى حكيم (١٤٢٨هـ: ١٠٧) أن وسيلة المجتمعات لتحقيق الأمن يكمن في نظامها التربوي، الذي يعمل على إعداد جيل يحمل في داخله الرغبة إلى بلوغ الكمال وتحقيق الأمن، الذي يعد من أهداف المجتمعات البشرية.

ويعد التطرف أحد إفرازات انعدام الأمن المجتمعي عامة، والأمن الفكري خاصة. وقد احتلتا ظاهرة التطرف في كثير من الأعمال النفسية والاجتماعية التي سعت لوصف ودراسة اضطرابات الإنسان المعاصر. ويؤكد الباحثون على أن ظاهرة التطرف ليست وليدة عصر التقنية بل هي قديمة قدم الإنسان؛ ولكنها سادت لتخرج من نطاق الحالات الفردية لتصبح إحدى الظواهر الاجتماعية المميزة للعصر الراهن مع اختلاف الثقافات والمجتمعات.

كما انتشرت مظاهر من الاتجاهات المتطرفة بين فئات الشاب، وبخاصة الشباب الجامعي كان أوضحها اتجاه بعضهم نحو العزلة والسلبية، واتبع البعض الآخر اتجاهات سلوكية متطرفة بلغ مداها حد استخدام العنف والإرهاب. وتعبر هذه الاتجاهات عن ثقافة شبابية تتسم بخاصية الرفض للمعايير والقيم والسلطة التي يمارسها الكبار في المجتمع، حتى أصبحت خاصية الرفض تمثل موقفاً عاماً موحداً يظهر بصورة سافرة في مواقف عدة ومجتمعات مختلفة، ولذا فسرت بعض الكتابات الغربية ثقافة الشباب على أنها أسلوب حياة مستقل عن عالم الكبار لا يخضع لمعايير الكبار وقيمهم، ومعتقداتهم وأساليب سلوكهم، بل هو أسلوب يقوم على نسق من القيم والمعايير والأفكار وأساليب السلوك غير الملتزمة. ومن ثم فإن ثقافة الشباب نوع من اللغة والقيم الخاصة والتصرفات المتميزة التي يغلب عليها روح التمرد والعناد نحو الكبار، وبذلك تتحول هذه الثقافة إلى ثقافة وظيفية قد لا تخدم عملية البناء التي ينشدها المجتمع، وتتجه نحو تبني أفكار مضادة تعبر عن تحد سافر للقيم والمعايير التي يرتضيها المجتمع لنفسه (السيد، ١٩٩٠).

كذلك قد يترتب على ميل الشباب المتزايد نحو استقلاليتهم، ومحاولات اعتمادهم على خبراتهم الشخصية ورفضهم لسلطة الكبار التي تفرض عليهم بسياسة تنزع نحو استهجان سلوك الشباب ومحاولات قمعهم، أن يشعروا بالتقليل من شأنهم وبدورهم في المجتمع بما يعرضهم لمشاعر الفشل

(*) إعداد: د. نفيسة العدل، ومراجعة المؤلف.

والإحباط التي تنعكس على مظاهر سلوكية تعبر عن الاستياء أو قد تأخذ صوراً غير وظيفية كالتمرد والعدوان أو التطرف في السلبية والانحسار أو تبني قيم تبعد عن القيم التي تحقق أهـداف المجتمـع (الجندي، ١٩٨٩).

إضافة إلى هذا، فإن أسباب التطرف كثيرة ومتنوعة، فمنها ما هو نفسي ومنهـا مـا هـو اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي أو ثقافي، لذلك وجب التصدي لتلك المشكلة في شكل خطط قوميـة تتبناها الدولة بكافة مؤسساتها، يشترك فيها الشعب بأكمله عن وعي كامل وحرص شديد، وألا تتوقف مسئولية العلاج على جهة واحدة دون غيرها، إذ لابد من الإحاطة بتلك المشكلة من كافـة جوانبهـا (أحمد، ١٩٨٢).

ومن ثم، ترى الباحثة أن تفشي ظاهرة التطرف في المجتمعات البشرية عامة، وفي المجتمـع السعودي خاصة إنما يعزى في المقام الأول إلى انعدام الإحساس بالأمن الفكري الذي يتيح لكل فرد أن يعبر عن آرائه وأفكاره بحرية وبدون خوف من عواقب التعبير عن الفكر، إلى جانب عدم المرونة في تقبل فكر ورأى الآخر. وعليه، يترتب على هذا زيادة التطرف مما يؤدي إلى هلاك الفرد والمجتمع.

مشكلة الدراسة:

أن غياب الأمن عامة، والأمن الفكري خاصة أدى إلى تفاقم بعض الظـاهرات الاجتماعيـة السلبية في المجتمعات الإسلامية على وجه الخصوص؛ ومنها على سبيل التخصيص ظاهرة التطرف، والتي أصبحت سمة من السمات الرئيسة التي توصم بها الشعوب الإسلامية. ولا شـك أن الأسـباب الكامنة وراء تفشي هذه الظاهرة عدم تحقيق الأمن وجمود الفكر، وعدم تقبل الرأي المخالف، وعـدم الميل إلى المجادلة بالتي هي أحسن، والافتقار إلى أدب الحوار، وفقر المنطق العقلـي فـي مناقـشة الموضوعات الخلافية.

وعلى الجانب الآخر، تعددت البحوث التي تناولت **مفهـوم الأمـن**: (عجـوة، ١٤٠٦هـ)، (الحماني، ١٤٠٧هـ)، آل عايش، ١٤١٤هـ، ١٤٢٩هـ)، (الحازمي، ١٤٢٩هـ). كما توجد بحوث أخرى تناولت **مفهوم التطرف**: (الطيب، ١٩٨١)؛ (المستكاوي، ١٩٨٢)؛ (أحمد، ١٩٨٢)؛ (إبـراهيم، ١٩٨٣)؛ (الشيخ، ١٩٨٣)؛ (الجندي، ١٩٨٧، ١٩٨٩)؛ (نعيم، ١٩٩٠)؛ (شاهين، ومحجوب، ١٩٩١)؛ (بيومي، ١٩٩٢)؛ (الدسوقي، ١٩٩٢)؛ (بيومي، ١٩٩٣)؛ (رزق، ١٩٩٨).

وعلى الرغم من تعدد البحوث التي تناولت كل من مفهومي الأمن والتطرف؛ كل على حـده، ألا أن هناك قلة من الدراسات التي حاولت الكشف عن دور الأمن الفكـري فـي مواجهـة ظـاهرة التطرف في المجتمعات الإسلامية. ومن ثم، تتصدى الدراسة الراهنة في محاولة إلقاء الضوء علـى الأمن الفكري ودوره الرئيسي في مواجهة ظاهرة التطرف في المجتمعات الإسلامية.

وعليه، يمكن صياغة مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة عن التساؤلات التالية:

١- ما مفهوم الأمن عامة، والأمن الفكري خاصة؟
٢- ما مفهوم التطرف، وأشكاله، ونظرياته المفسرة، وأسبابه، وموقف الإسلام منه؟
٣- ما دور الأمن الفكري في مواجهة ظاهرة التطرف؟

أهداف الدراسة:

يمكن تحديد أهداف الدراسة في النقاط التالية:

١- التعرف على مفهوم الأمن عامة، والأمن الفكري خاصة.

٢- التعرف على مفهوم التطرف، وأشكاله، ونظرياته، وأسبابه، وموقف الإسلام منه.

٣- التعرف على العلاقة بين الأمن الفكري وظاهرة التطرف.

حدود الدراسة:

تتحدد الدراسة في بيان مفهوم الأمن عامة، والأمن الفكري خاصة، والتعرف على مفهوم التطرف، وأشكاله، ونظرياته، وأسبابه، وموقف الإسلام منه، والكشف عن العلاقة بين الأمن الفكري وظاهرة التطرف.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للتكامل في منهجية البحث بين الوصف والتحليل والاستنباط بغرض الإجابة عن أسئلة الدراسة، وبيان مفهوم الأمن الفكري والتطرف، والكشف عن العلاقة بينهما.

دراسات سابقة:

يمكن تقسيم الدراسات السابقة في الدراسة الراهنة إلى محورين:

المحور الأول: دراسات تناولت مفهوم الأمن:

تناول عجوة (١٤٠٦هـ) في دراسته أثر انتشار الأمن في رفع مسيرة الأمة. بينما أشارت دراسة الحماني (١٤٠٧هـ) إلى دور الأمن في التربية في تكوين جيل مسلم. وكشفت دراسة آل عايش (١٤١٤هـ) عن الدلالات التربوية لمفهوم الأمن في القرآن الكريم والسنة النبوية. كما تناول حكيم (١٤٢٨هـ) دور الأسرة في تحقيق الأمن. وانتهت نتائج دراسة الحازمي (١٤٢٩هـ) إلى أهمية دور الحوار الوطني في تعزيز الأمن الوطني للمملكة العربية السعودية. كما كشفت نتائج دراسة آل عايش (١٤٢٩هـ) عن دور المعلم في تحقيق حسن الخلق وأثره في الأمن الاجتماعي.

المحور الثاني: دراسات تناولت ظاهرة التطرف:

تناولت دراسة المستكاوي (١٩٨٢) الكشف عن العلاقة بين التطرف والاعتدال في الاتجاهات الدينية وبعض سمات الشخصية. كما كشفت دراسة إبراهيم (١٩٨٣) عن ديناميات التطرف في المحافظة والتحرر لدى الشباب الجامعي. وانتهت دراسة الشيخ (١٩٨٣) إلى وجود فروق في الحاجات النفسية بين المتطرفين وغير المتطرفين. وإلى جانب هذا، تناولت دراسة الجندي (١٩٨٧) التطرف بين الشباب. كما انتهت نتائج دراسة بيومي (١٩٩٣) إلى وجود علاقة بين التطرف ومستوى النضج النفسي الاجتماعي. كما ركزت الدراسة التي قام بها عفيفي (١٩٩٣) إلى أهمية التوجيه الإسلامي لمواجهة التطرف في الدعوة الإسلامية. وأشارت دراسة السعيدين (١٤٢٥هـ) إلى دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الفكر المتطرف. كما تناولت دراسة الزهراني (١٤٢٦هـ) ظاهرة الغلو في القرآن الكريم؛ حقيقته وأسبابه وعلاجه.

تعقيب:

تبين للباحثة الراهنة أن هناك بعض الدراسات قد تناولت **مفهوم الأمن** بوجه عام، ودراسات أخرى تناولت **ظاهرة التطرف**، وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت المفهومين كل على حدة، ألا أن هناك قلة من الدراسات التي حاولت الكشف عن دور الأمن الفكري في التصدي لظاهرة التطرف سواء على صعيد الدراسات التي أجريت في المجتمعات العربية الإسلامية عامة، والمجتمع السعودي على وجه الخصوص. ومن ثم ، تكمن مشكلة الدراسة الحالية في محاولة الكشف عن دور الأمن الفكري في مواجهة ظاهرة التطرف في المجتمعات الإسلامية.

مفاهيم الدراسة:

يمكن تحديد مفاهيم الدراسة إلى ما يلي:

أولاً: الأمن الفكري:

أن الأمن ضد الخوف (الرازي، ١٤٠٧هـ: ٢٥). وقد قيل أن الأمن والآمان والأمانة بمعنى واحد (الجوهري، ١٣٧٧هـ: ٢٧١)، وفي هذا الصدد جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٤]. ومن ثم، فإن الأمن هو شعور الفرد بالأمن والأمان، والإحساس بأن حياته ومصالحه ومصالح مجتمعه ووطنه، محمية لا يعتدي عليها أحد؛ فالأمن تبحث عنه النفوس في كل شأن من شؤون الحياة؛ ذلك أن الأمن ليس مجرد شعور بالأمان والطمأنينة، بل إن مفهومه قد يكون أعمق من مجرد ذلك فهو يمتد ليشمل احتياجات الإنسان المادية والمعنوية، وتأمينها، وكذلك حاجاته الأدبية والاجتماعية والإنسانية (عجوة، ١٤٠٦هـ: ٣٧٤). كما يعرّف الأمن بأنه اطمئنان القلب والشعور بالسلام في حياة الفرد والمجتمع بوطنه (نقرة، ١٤١٩هـ: ٣٦). علاوة على أنه حفظ الناس من الأضرار، فتشريد الدعار، وحراسة البلاد وتمهيد السبل، وإنارة الطريق أمن، والانتصاف من الجناة، والضرب على أيدي الظلمة وإرجاع الحقوق إلى أهلها أمن (ابن عاشور، ١٩٨٤: ٧٠٩). ويشير الدميجي (١٤٠٧هـ: ٨٧) إلى أن الأمن يقصد به استقرار السلطان، وأمن السلطة حتى يتمكن من توفير الأمن للمسلمين حتى يكون الناس في أمن وسلام على دينهم وأرواحهم وعقولهم وأعراضهم وأموالهم. ويعرّف حكيم (١٤٢٨هـ: ٩٠) الأمن بأنه الشعور بالاطمئنان والأمان وعدم الخوف والإحساس بأن حياة الفرد واحتياجاته ومصالحه ومصالح المجتمع والوطن مصونة، ومحفوظة ومحمية من أي اعتداء عليها.

وتعرّف الباحثة الأمن الفكري بأن يقصد به شعور الفرد بالاطمئنان والأمان وعدم الخوف عندما يعبر عن آرائه الفكرية دون تقييد أو قهر، وقبول الرأي والرأي الآخر دون عنت، واحترام فكر الآخرين، والمرونة الفكرية وعدم الجمود، والإحساس بأن فكر الإنسان وآرائه مصونة، ومحفوظة، ومحمية من أي اعتداء عليها.

بينما على الجانب الآخر، نجد أن الأمن في ضوء الإسلام يحقق الإيمان الذي هو عبادة الله تعالى، وذلك في عالم تكسوه الطمأنينة والسماحة والسلام، وذلك لأن الدين الإسلامي قد اعتنى عناية فائقة بالأمن والخوف في الكثير من الآيات القرآنية (الحمامي، ١٤٠٧هـ: ٤١). والدليل على ذلك أن هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو إلى حرية الفكر والتحرر من الضلال الفكري، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

ومن هنا؛ يتضح أن لمفهوم الأمن في الإسلام شموليته لجميع جوانب الحياة الدنيوية، وأيضاً له جانبه الأخروي، وإن أهم الجوانب التي أهتم بها الإسلام جانب الأمن للفرد، وجانب أمن الجماعة، وجانب أمن الدولة، وهذه الجوانب الثلاثة تحقق في مضمونها الصورة المشرفة للأمن في الإسلام.

ويضيف آل عايش (١٤١٤هـ: ٥٣-٥٩) أن لمفهوم الأمن في القرآن الكريم والسنة النبوية بعد رأسي وآخر أفقي، ولكل منهما تأثيره الفعال في جوانب الأمن السابقة؛ فالبعد الرأسي في مفهوم الأمن الإسلامي يمتد بين أدنى فرد في الجماعة المسلمة إلى أعلى فرد في هرم هذا المجتمع وهو الدولة، والذي ليس له ولا لأي عنصر من عناصر السلطة العذر أو الحق في أن يعتدي على الفرد، أو يلحق به الأذى، ويترتب على ذلك أن ليس للفرد عذر في أن يلحق الضرر، أو إثارة الخوف، أو الفتنة نحو الحاكم، أو السلطة، أو محاولة زعزعة أمن مجتمعه. ويوضح البعد الأفقي شمولية مفهوم الأمن للجماعة داخل بناء الأمة الإسلامية، ويمتد ليحط بظلاله الأمنية على الفرد المسلم ذاته، ولمنه على دينه، وعقله، وعرضه، وماله، وهو ما يعرف في كتب الفقه بالضرورات الخمس التي حرم الإسلام الاعتداء عليها من قبل الغير أو من قبل الفرد نفسه، فهو مؤتمن عليها ويمتد الأمر إلى محيطه الاجتماعي الكامل، ويمتد هذا البعد حتى يبلغ محيط الأمة الإسلامية وجميع مصالحها، وهناك يصبح الأمن بيئة أساسية للأمة الإسلامية التي يتحقق فيها الأمن بجميع أبعاده ومقوماته لجميع موجودات الكون.

ثانياً: التطرف:

يرى بيومي (١٩٩٣: ١٤-١٥) أن مفهوم التطرف من المفاهيم التي يصعب تحديدها أو إطلاق تعميمات بشأنها نظراً لما يشير إليه المعنى اللغوي للتطرف من تجاوز لحد الاعتدال، وحد الاعتدال نسبي يختلف من مجتمع لآخر وفقاً لنسق القيم السائد في كل مجتمع. فما يعتبره مجتمع من المجتمعات أنه سلوك متطرف، فمن الممكن أن يكون مألوفاً في مجتمع آخر، فالاعتدال والتطرف مرهون بالمتغيرات البيئية والحضارية والثقافية والدينية والسياسية التي يمر بها المجتمع. كما يتفاوت حد الاعتدال والتطرف من زمن لآخر، فما كان يعد تطرفاً في الماضي قد لا يكون كذلك في الوقت الحاضر، ومع ذلك حاول بعض الباحثين التوصل إلى تعريف لمفهوم التطرف.

فيقصد بالتطرف بأنه "اتخاذ الفرد موقفاً متشدداً يتسم بالقطيعة في استجاباته للمواقف الاجتماعية التي تهمه والموجودة في بيئته التي يعيش فيها هنا والآن، وقد يكون التطرف إيجابياً في القبول التام أو سلبياً في اتجاه الرفض التام. ويقع حد الاعتدال في منتصف المسافة بينهما" (المستكاوي، ١٩٨٢: ٣٥)، وبأنه: "التعصب في الرأي وتجاوز حد الاعتدال فيه وما يترتب على هذا التعصب من ألوان السلوك الإنساني العنيف أحياناً واللاإنساني أحياناً أخرى" (عويس، ١٩٨٢: ١٦٨)، وبأنه: "الخروج عن القواعد الفكرية والقيم والمعايير والأساليب السلوكية الشائعة في المجتمع، معبراً عنه بالعزلة أو بالسلبية والانسحاب أو تبني قيماً ومعاييراً مختلفة قد يصل الدفاع عنها إلى الاتجاه نحو العنف في شكل فردي أو سلوك جماعي منظم بهدف أحداث التغيير في المجتمع وفرض الرأي بالقوة على الآخرين" (الجندي، ١٩٨٩: ٧)، وبأنه: "أسلوب مغلق لتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة" (نعيم، ١٩٩٠: ١١١)، وبأنه: "اتخاذ الفرد موقفاً متشدداً يتسم بالقطيعة في استجاباته للموضوعات وفيما يقوم به من

ممارسات ذات طابع ديني" (الدسوقي، ١٩٩٢: ١٦٠)، وبأنه: "قد يتحول من مجرد فكر إلى سلوك ظاهري أو عمل سياسي يلجأ عادة إلى استخدام العنف كوسيلة لتحقيق المبادئ التي يؤمن بها كفكر متطرف أو اللجوء إلى الإرهاب النفسي أو المادي أو الفكري ضد كل ما يقف عقبة في طريق تحقيق تلك المبادئ والأفكار التي ينادي بها هذا الفكر المتطرف" (بيومي، ١٩٩٢: ٥)، وبأنه: "استجابة في الشخصية تعبر عن الرفض والاستياء تجاه ما هو قائم بالفعل في المجتمع، تعكس مجموعة من الخصائص المميزة للشخصية المتطرفة مثل: السيطرة، المغايرة، ضعف الأنا، وتدفع هذه الخصائص بالشخصية إلى أساليب متطرفة في السلوك كالتعصب، والتصلب، والجمود الفكري، والنفور من الغموض" (بيومي، ١٩٩٣: ١٥).

وقد استطاع فرحات (١٩٩٩: ١٧٠-١٧١) التوصل إلى الخصائص المشتركة التي تظهر على الشخص المتطرف، ومنها ما يلي:

١- الانحراف يميناً ويساراً عن التوسط في الأحكام والتعصب للتوجه الذي يتجه إليه الشخص وإن كان خاطئاً.
٢- اتخاذ موقفاً متشدداً ومتشبثاً برأيه، ويتسم هذا الموقف بالعداء لمن يخالفونه في الرأي والاتجاه.
٣- أن يكون الانحراف والتجاوز والتشدد في موضوعات تهم الفرد، والمجتمع، وترتبط بالبيئة التي يعيش فيها، وربما تكون مصيرية ويتوقف عليها حياة البعض ومصيرهم.
٤- ربما يتبع هذا السلوك المتجاوز والمتشدد بعض السلوكيات العنيفة اللاإنسانية مما يترتب عليه الضرر الفردي أو الجماعي.
٥- وقوع الأذى والضرر سواء كان نفسياً بالمعاداة والمقاطعة والحجر على الآخرين، واللجوء إلى التمييز بأنواعه المختلفة، مثل: التمييز العنصري، الطبقي، العلمي، أو مادياً بإيقاع العقاب بالآخرين واستخدام العنف معهم.
٦- الجمود الذهني والانغلاق الفكري، وتعصب الفرد لثقافة معينة دون الثقافات الأخرى، وعدم رغبته حتى في مجرد الإطلاع على الثقافات الجديدة.
٧- الوقوف موقفاً عدائياً من بعض القيم الأخلاقية التي لا تتفق مع ما رسخ في ذهنه من قيم ربما تكون خاطئة أو غير عادلة.
٨- محاولة نشر القيم التي يعتنقها والتشبث بها، بدلاً من القيم المجتمعية التي قد يعتقد أنها قيم بالية أو قيم مغرضة.

أشكال التطرف:

قد يأخذ التطرف أشكالاً متعددة أهمها ما يلي: **التطرف الفكري**: والذي يتمثل في الخروج عن القواعد الفكرية أو الثقافية التي يرتضيها المجتمع لأي موقف من المواقف الحياتية. **والتطرف المظهري**، ويقصد به إثارة الرأي العام بالخروج عما هو مألوف لدى العامة من حيث المظهر كارتداء ملابس مخالفة للجمهور أو التبرج أو الملبس أو الحديث بطريقة تجذب الانتباه (الجندي، ١٩٨٩). **والتطرف الديني**: وهو مجاوزة حد الاعتدال في السلوك الديني فكراً وعملاً أو الخروج عن مسلك السلف في فهم الدين وفي العمل به سواء بالتشدد أو بالتسيب والتفريط (حسن، ١٩٧٤). **والتطرف**

السياسي، والتطرف الأخلاقي، والتطرف في المشاعر التي يعبر عنها الأفراد نحو بنود الاختبار (سويف، ١٩٦٨)، والتطرف الاجتماعي والرفض والاحتجاج على غياب العدالة الاجتماعية بصورها المختلفة في نظام المجتمع (بيومي، ١٩٩٢).

النظريات النفسية المفسرة لمفهوم التطرف:

اهتم علماء النفس بدراسة الشخصية ومكوناتها وخصائصها وارتباطها بأساليب التنشئة الاجتماعية ومدى إشباع الحاجات الأساسية وأثر ذلك على النمو المتوازن وعلى تكوين شخصية الفرد وقدرته على التفاعل والتكيف والتوافق سواء مع نفسه أو مع غيره من أشخاص يحيطون به (الجندي، ١٩٨٧).

وتعد مرحلة الشباب وفقاً للمدخل النفسي الحديث، مرحلة انتقالية تتوسط مرحلتي المراهقة والرشد، فلها خصائصها التي تميزها عن غيرها، ولعل من أهمها التناقض الوجداني للذات والاحتواء الاجتماعي. فالمراهقين عادة ما يتقبلون تعريفات المجتمع لهم على أنهم مترددين أو مطيعين، كسولين أو نشطين، بينما في مرحلة الشباب تصبح العلاقة بين تلك السمات المحددة اجتماعياً وبين الذات الحقيقية للشباب مسألة تثير الكثير من المشكلات، فسرعان ما يتزايد الوعي بالصراع المحتمل أو الواقعي الذي قد يتمثل بالافتقار إلى الانسجام والتطابق بين تصور الشباب لذاته الحقيقية وبين موارد ومتطلبات المجتمع القائم. ويصبح كيفية تحقيق التماثل والتطابق بين هذين التصورين دائماً من أهم المشكلات التي يواجهها الشباب (Morris, 1982: 114).

ولا يقتصر التناقض الوجداني للشباب على معارضته المجتمع أو نبذه، بل قد يتضمن أيضاً نبذ الشخص لذاته، أو ما قد يتبعها من أساليب يستخدمها الشباب ومن أجل تحويل ذاته والتي قد تأخذ صورة الرهبنة أو حبوب الهلوسة والمخدرات أو العمل الشاق أو التطرف الديني أو السياسي أو الاجتماعي.

كما قد تتردد في فترة الشباب مشاعر الغربة والرفض الواضح لعمليات التنشئة الاجتماعية والتحضر الثقافي، حيث يشعر الشباب بعمق التأثير الذي يمارسه المجتمع والثقافة على شخصيتهم، وفي بعض الأحيان يحاولون الانسلاخ عن أدوارهم المكتسبة من ثقافاتهم وتاريخهم (خبراتهم الماضية) ويبحثون عن أدوار نوعية أخرى تميل نحو تأكيد التغير والتحول والحركة ومقت كل ما هو ساكن وثابت، فالتغيير والحركة هما أساس شعور الشباب بالحيوية والإيجابية للتغلب على الإحساس بقيد حريتهم أو شعورهم بأنهم محصورون داخل إطار أو حدود بعينها، وما تلك المحاولات الانتحارية لدى الشباب إلا انعكاس لإحباطهم وإحساسهم بالعجز الأبدي أو فشلهم في تحقيق هذا التعبير.

كما يميل أيضاً بعض الشباب إلى التجمع معاً في تشكيل وبناء ما يسمى "بالثقافة المضادة" للشباب، ذلك النمط أو التضامن الثقافي الذي يتميز بابتعاده المتعمد والمقصود ثقافياً عن النظام الاجتماعي القائم سواء أخذ هذا التضامن شكل الجماعات الصغيرة أو المنظمات الرسمية. وهذه الثقافة المضادة لا تتميز بكونها وعي تبلور لدى الشباب، بل أسلوب حياة متميز لجماعة بعينها (Eriskon, 1963: 19-20).

كما أن في المجتمعات البدائية تكون القيم التي ينشأ عليها الأطفال داخل أسرهم، هي نفسها تلك القيم

التي تنتظم على أساسها حياة البالغين؛ ومن ثم فإن التغير أو الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب والرشد لا يصاحب بمشكلات ذات أهمية أو خطورة، وتصبح لحظة الانتقال إلى مرحلة البلوغ مسألة طقوسية أو شعائرية، وبالتالي ليس لمرحلة المراهقة في هذه المجتمعات وجود واقعي. وعلى العكس من ذلك نجد في المجتمعات الصناعية الحديثة فجوة بنائية كبيرة بين الأسرة التي تنشئ وتربى فيها الأطفال وبين النسق الاجتماعي والاقتصادي الذي يجب عليهم أن يأخذوا موقعهم فيه، فالتحول من مكانة الطفل إلى مكانة الراشد ليست عملية سهلة أو سريعة. قد تستغرق فترة طويلة حتى يتمكن الشاب من اكتساب أوضاع بنائية هامة في هذه المجتمعات (Morris, 1982: 114-115).

كما تتحدد مكانة الشباب في المجتمعات المعقدة بأنها مكانة اجتماعية هامشية، سواء كانوا في مدرسة أو كلية أو ورشة، فهم لم يتكاملوا بعد داخل البناء الاقتصادي لمجتمعهم، وأيا نتيجة لعدم مقدرتهم على بناء الأسرة، فهم غير مكتملين في البناء الاجتماعي، كما أن وقت الفراغ لدى الشباب عادة ما ينظم من خلال سلطات الكبار، فكل ذلك من شأنه أن يشوه من مكانة هؤلاء الشباب الشرعية أو القانونية وتصبح بذلك مشوشة (السيد، ١٩٩٠: ٣٧-٣٨).

وقد حاول تايلور أن يتبنى وجهة نظر "فرويد" للصراع الأوديبي في تفسير نظريته "التغير الاجتماعي" الذي يخضع لقوانين سببية كامنة، ووجد أن التوحدات الأبوية (الأبوية – الأمومة) تعد أهم ثنائية تساعد على التمييز بين الأفراد في النماذج المختلفة، فهي بمثابة تطرفات مستقبلية يمكن في ضوءها تصنيف أكبر قدر من التنوع الفردي في الخبرات السلوكية والفنية والدينية والاجتماعية، إما كأبويين أو أمويين قبل أن تتوافر لدينا أية صورة مفصلة عنهم كأشخاص واقعيين. أي أنه يمكن بالاستعانة بخبرات الطفولة التي مر بها الفرد في تنشئته الاجتماعية التي تنشأ عليها التوصل إلى العلاقة التي تربط سلوكه وبنية شخصيته المميزة.

وبهذا الأسلوب استطاع "تايلور" الاستفادة من نظرية التحليل النفسي في فك أسرار التغير التاريخي، حيث اعتبر العوامل النفسية سبباً ضرورياً لإحداث التغيير الاجتماعي، واعتبر الشخصية الإنسانية متغيراً ترتبط به ميكانزمات اجتماعية لتؤسس تحولات في عادات واتجاهات الجماعات وفي النسق الاجتماعي.

ويؤكد بذلك تايلور على أنواع معينة من العمليات النفسية التي تعتبر هي المسئولة عن التفسير النهائي للظواهر التاريخية، فبناء الشخصية التي يتم ترسيخها من خلال ممارسات التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها كل جيل جديد هي القوة الحقيقية الدافعية للتاريخ (الجوهري وآخرون، ١٩٨٢).

كما يرجع أصحاب نظرية التحليل النفسي بأن التطرف شأنه في ذلك شأن الانحرافات النفسية إلى خبرات الطفولة المبكرة التي لها تأثير كبير على سلوك الراشد، فحينما لا تشبع بعض الحاجات المبكرة مثل الاهتمام أو الحب، فإنها تؤدي إلى وجود ميل قهري يستمر مع صاحبه مدى الحياة ويدفعه نحو تحقيق ما حرم منه، أو اكتساب ما فقده في طفولته المبكرة، ويحدث هذا سواء بطريقة رمزية أو واقعية، ولهذا فإن الإحباط المبكر للحاجات الأساسية يمكن أن تؤدي إلى اتجاهات عدوانية نحو العالم بأسره أو اتجاه أنواع معينة من الموضوعات (مثل التطرف: سياسي، ديني، فكري) (صابر، ١٩٨٧: ٩٢).

وعليه، وفي ضوء تنظيم فرويد Frued للجهاز النفسي المكون من الهي أو الهـو (الممثـل للمخزون البيولوجي)، والأنا (الممثل لقيم الواقع)، والأنا الأعلى (الممثل لمجموعة القيم والمثل العليا) وكل مكون له متطلباته، مما يخلق صراعاً بين المكونات الثلاثة. ويشير لهـذا فهمـي (١٩٦٦: ٥٣-٥٨) حيث أوضح أن الهي أو الهو له متطلباته التي لا يرضى عنها الأنا ومن ثم فإنه يلجـأ (الهـو – الهي) إلى كبت هذه الرغبات ومعنى كبتها أنها لا تنتهي أو تموت بل تظل هذه الرغبات حية تتصارع وتتفاعل وتتحين الفرصة للظهور والتعبير عن نفسها، ومن خلال هذا الصراع تتكون مشتقات أخـرى جديدة لها أثر واضح في توجيه السلوك، هذا وهناك صراع قائم بين الأنا والأنا الأعلى حيث أن الأنا الأعلى هو المتحكم في الأنا من خلال ضبط هفواته، ثم أن هناك صراعاً آخراً بين الهو – الهي والأنا الأعلى، وهو صراع بين مبدأين: مبدأ اللذة (وهو يمثل الدوافع البيولوجية "للهو") ومبدأ الواقع (وهـو يمثل الدوافع النفسية التي تعبر عن النظم والخضوع للعرف والتقاليد والقواعد)، ومما لا شك فيـه أن هذه الصراعات واختلاف وظائف هذه المكونات تعمل على وجود صراع حاد داخلي في أعماق النفس اللاشعورية.

وفضلاً عن الصراع النفسي القائم بين الجهاز النفسي للإنسان، فإن فشل الفرد في اتخاذ موقفاً وسطاً بين هذه المتطلبات فإنها تلجأ الفرد إلى اكتساب بعض السلوكيات الشاذة التي ربما تكون خارجة عن قيم المجتمع ومعاييره، لأنه بذلك يحاول إشباع بعض الرغبات التي لم يوافق عليها بناءه النفـسي في مرحلة ما فيشبعها في مرحلة تالية، وبطريقة لا شعورية، وذلك لأن عدم إشباعها في المرحلة التي ظهرت فيها لا يعني أنها قد انتهى أمرها، وقد يكون الإشباع بصورة أكثر فجاجة وغير ملائمة.

أما هورني Horney فترى أن عدم إشباع الحاجة للأمن هو الأساس الأولي لكافة الاضـطرابات السلوكية والانحرافات المختلفة، فقد قامت هورني بوضع قائمة من العوامل البيئية المعاكسة أو غير المواتية، والتي يمكن أن تفضي إلى مشاعر عدم الأمن والاطمئنان لدى الطفل، ترتبط جميعها بالعلاقات المـضطربة القائمة بين الطفل ووالديه. ولذا فهو يلجأ لثلاث طرق للتعامل مع هذه المشاعر، فقد يصبح مفعماً بالعـدواة، كما قد يغدو خاضعاً مستسلماً على نحو مفرط متزايد، وقد يحاول الطفل استخدام أشكالاً من التهديد لإكـراه الناس على حبه، وقد ينمي صورة مثالية غير واقعية عن ذاته، ويمكن لكل هذه الأساليب أن تصبح سـمات لشخصيته مع الخصائص الدافعية للحافز أو الحاجة (كولز، ١٩٩٢: ٣٩٤).

وعلى كل فإن الإنسان عبر مراحل حياته المختلفة إذا اسـتطاع التوفيـق بـين صـراعاته، المختلفة، بحيث يضع لها الحلول التي تلائم كل مرحلة وتتناسب مع كل متطلب، فإن الحياة النفـسية للفرد تسير في طريقها الطبيعي بعيدة عن الاضطراب النفسي بكافة أشكاله، وتتجه شخصيته للاتـزان والتوازن، لأنه ليس هناك ما يسبب القلق والتوتر الذي ينتج عنه أي نوع من أنواع الـسلوك المنحـرف الذي لا يتلائم مع طبيعة المجتمع والحياة الاجتماعية، أما إذا عجز عن حل هذا الصراع ووضع الحـل الملائم، فإن ذلك يجعل النفس الإنسانية أرضاً خصبة لظهور كافة الاضـطرابات، وظهـور ألـوان مختلفة وأشكال متنوعة من الاضطرابات والانحرافات السلوكية التي تنبع أساساً من اخـتلال تـوازن الشخصية، وعلى سبيل المثال في ذلك ظهور التطرف وذلك لأن المتطرف عجز الأنا لديه عن إشباع بعض الحاجات فلجأ إلى إشباعها بصورة غير سوية وغير مقبولة اجتماعياً.

وإذا كان فرويد في تفسيره للاضطراب النفسي والسلوكي كأساس للتطرف يرجع ذلك إلى الصراع الداخلي القائم بين مكونات الجهاز النفسي، وهورني ترجعه إلى العلاقة غير الآمنة بين الفرد والآخرين من المحيطين به، فإن اريكسون Erikson يرجع ذلك إلى أزمة الهوية إذ أن أزمة الهوية Identity Crisis، وهي أزمة يمر بها جميع المراهقين في وقت ما، ويعانون فيها من عدم معرفة ذاتهم بوضوح، أو عدم معرفة المراهق لنفسه في الوقت الحاضر، أو ماذا سيكون في المستقبل فيشعر بالضياع والتبعية والجهل بما يجب أن يفعله ويؤمن به، وهي علامة على طريق النمو يمكن أن تؤدي إلى الإحساس بالهوية أو إلى مزيد من الانهيار الداخلي وتشتت الدور أو تميع الهوية Identity Confusion (عبد الرحمن، ١٩٩٨: ٢٨٨).

ويعني ذلك أن المراهق يكون في حالة لا يعرف كنه ولا ذاته، فقد اختلطت عليه الأمور، من هو؟ وماذا عليه؟ وماذا له؟ ومن ثم يجد نفسه لم يحدد هويته، فهو بدون اتجاه محدد ولهذا يشير اريكسون (دافيدوف، ١٩٨٨: ٥٩٢-٥٩٣) أنه نتيجة لفقدان المراهقين الإحساس بهويتهم أو الفشل في تكوينهم يكونون متعصبين وقليلي الاحتمال وشديدي القسوة في استبعاد الآخرين الذين يخالفونهم في اللون أو الخلفية الثقافية، وفي الأذواق والمواهب، وغالباً في كل المجالات الصغيرة للملبس والإشارات المختارة كعلامات داخل أو خارج الجماعة، ويعمل المراهقون في ضوء هذه الأزمة التي لا يجدون حلاً لها، على تكوين الجماعات أو العصابات، ويلتزمون ببعض الأنماط الجامدة (المتطرفة) نحو أنفسهم أو مثالياتهم أو أعدائهم.

أما ماسلو Maslow وروجرز Rogers فكان لهما تفسير لظهور الشذوذ في السلوك والانحراف في الشخصية، أما ماسلو فيذهب إلى افتراض أساسي: هو أن الجنس البشري لديه حاجة أو دافع فطري إلى تحقيق إمكاناته، فلديه إرادة حرة من أجل تحقيق سلامته وصحته ولديه دافع من أجل تحقيق نمائه، وتحقيق إمكاناته الأساسية ويتكون النمو السوي والصحي من التعبير عن هذه الحاجة. أي من عملية تحقيق إمكاناته. في حين ينظر إلى اللاسوية (التطرف) باعتبارها نتاجاً لإحباط تلك الحاجة. في حين يذهب روجرز إلى أن كل فرد لديه حاجة إلى تقدير ذاته على نحو إيجابي، وانطلاقاً من توجهه الذاتي فقد عرّف اللاسوية (التطرف) بأنه تفاوت مفرط بين مفهوم الذات والمفهوم المثالي، ونظراً لنمو مفهوم الذات من خلال إدراك المرء لتقييم الآخرين له فإن الشذوذ أو اللاسوية لدى الفرد وإخفاقه في تحقيق ذاته وإمكاناته يرجعان بصفة جوهرية إلى إخفاقه في الحصول على احترام إيجابي من الآخرين (كولز، ١٩٩٢: ٤٥٤-٤٥٦).

وهنا تتضح الصورة، فانعدام تحقيق الذات لدى الفرد أو تحقيق القدر الملائم من تقدير الذات يلجئان الفرد إلى جماعات أيا كان نوعها يجد في إطارها ما يحقق له ذاته ويضمن له تقديرها.

ومن بين الاتجاهات التي تفسر التطرف، الاتجاه القائم على فرضية الإحباط فلقد استخدم المغربي (١٩٨٧: ٣٢) فرضية الإحباط لتفسير التطرف والخروج على السلطة فيذكر أن الوعي بالإحباط والحرمان يعني الخطر والتهديد لإشباع حاجات الإنسان الأساسية، ومن ثم فإنه إذا تعذرت أو فسدت أمام الإنسان مسالك التعبير عن هذا الخطر وتغييره بالوسائل السليمة المشروعة، استثيرت في نفسه النزعة إلى العدوان الذي يهدف إلى تحطيم مصادر الإحباط ورموزه سواء على مستوى الفرد الذي يأخذ شكل الجريمة أو على مستوى الجماعة والذي يأخذ شكل التمرد.

ويأخذ الإحباط المؤدي للتطرف صوراً عديدة، قد يكون مرده للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد، أو لعدم استيفاء حاجة عن حاجاته الأساسية بإشباعها ولهذا يشير الشيخ (١٩٨٣: ٨٨) إلى أن مشاعر الإحباط التي تهيمن على الشباب المتطرف مرجعها إلى عدم إشباع حاجاتهم النفسية (الحاجة إلى العمل ودفع شبح البطالة، أو الحاجة إلى الدور الاجتماعي المتمثل في العمل والزواج وبناء أسرة)، وهذا الشعور المحبط يولد سلوكاً عدوانياً يتجه بكل قوته ضد مسبب هذا الإحباط، ولقد أوضح من خلال دراسته للشباب المتطرف أن السبب الرئيسي المؤدي لهذا التطرف من وجهة نظر الشباب إنما يتمثل في المجتمع نفسه متمثلاً في قياداته وأنظمته التي يعتبرها الشباب مسئولة كاملة عن عدم إشباع حاجاتهم.

وإذا كانت الظروف المحيطة التي يعيشها الشباب داخل المجتمع من العوامل المؤدية للتطرف، فإن عدم قدرة المعايير الاجتماعية وكفاءتها في إرضاء الشباب يشيع السخط لديهم، ولهذا يشير إبراهيم (١٩٨٤: ١٤٢) إلى أن أهم العوامل التي تجعل الإنسان مستهدف للانجذاب إلى التطرف هو السخط العام بين الجماهير على الظروف المحيطة، ولهذا دائماً ما يرتبط التطرف وشيوعه في المجتمع، بشعور الأفراد بأن معاييرهم وقيمهم الحضارية التي اعتادوها لم تعد كافية لإعطائهم ما يرضيهم.

والإحباط في حد ذاته متنوع كما سبق الإشارة إلى هذا، ولعل من بين الإحباطات المختلفة مثل الإحباط الاقتصادي ويرجع هذا النوع من الإحباط، أما إلى ارتفاع الأسعار وعدم كفاءة الأجور لمسايرتها، وإما إلى عدم توافر فرص العمل، ولقد أشار أبو النيل (١٩٨٤: ٢٣٩) إلى آراء كل من البورت ونورمان حيث أوضحا أن عمل الجماعات المتطرفة التي تمارس العنف إنما هي جماعات أحبطت دوافعهم، فاتخذوا خطوات جماعية (الشغب) لتمهيد الطرق من أجل إرضاء دوافعهم التي أحبطت.

ومن ثم، يمكن القول بأن الإحباط عنصر هام في أحداث التطرف لدى المتطرفين، وللإحباط في حد ذاته علاقة كبيرة بالكثير من الاضطرابات النفسية والسلوكية التي يمكن أن تظهر لدى الأفراد بصورة عامة، فإذا ما أتيح للشخص المحبط فرصة للتنفيس عن نفسه ولتهدئة الغليان النفسي الذي يعيش فيه، فإنه يخرج في صور عديدة ومتنوعة مثل التطرف، وكما سبق يتضح أن التطرف الناجم عن الإحباط يرجع لعدة عوامل ومنها:

١- الإحباط الاقتصادي.
٢- الإحباط النفسي الناتج عن عدم إشباع حاجات أساسية.
٣- إحباط الحاجة إلى الدور، بأن لا يكون للفرد دور في المجتمع.
٤- إحباط معايير المجتمع وقيمه وعاداته وتقاليده لأفراد لا يطبقون هذه المعايير ولا يريدون لها وقاراً.

أسباب التطرف:

تتعدد الأسباب التي تؤدي إلى ظهور وانتشار التطرف، فمنها ما يرجع إلى الأسرة، ومنها ما يرجع إلى المؤسسات التعليمية. وفيما يلي عرض هذه الأسباب:

(١) **الأسرة:** تلعب الأسرة دوراً كبيراً في نمو أفرادها نمواً سليماً، وذلك لما لها من وظائف كثيرة، تهدف هذه الوظائف إلى الإبقاء على نسق البناء الاجتماعي واستمراريته، ومنها الوظائف

النفسية مثل الحب والشعور بالانتماء، بالإضافة إلى الوظائف الاقتصادية ووظيفة التطبيع الاجتماعي، هذا فضلاً عن وظائف مثل الترويح والصحة والتعليم والتدريب العملي (رضوان، ١٩٩٧: ٦٨).

ويمكن القول بأن الأبناء في إطار الأسرة هم المرآة التي تعكس كل ما يدور داخل الأسرة، بل هم الصفحة التي تنطبع عليها ديناميات التعامل الأسري، فإذا ما كانت العلاقة الأسرية تتسم بالمودة والألفة والمحبة تخرج الأبناء وهذه الأشياء جميعها مترسخة في وجدانهم، سواء كان هذا بالنسبة لهم كأفراد أو بالنسبة للمجتمع ككل، ومن المعروف أن التنشئة الاجتماعية تتبلور من خلالها سمات شخصية الأفراد.

وعليه فالأب والأم يمثلان السلطة داخل النظام الأسري، وبقدر ما يغرسان في نفوس أبنائهم من قيم وسمات إيجابية بقدر ما يكون الفرد سوياً في تعامله مع المجتمع من حوله وعلى هذا يشير الروبي (١٩٩٨: ١٤٠) إلى أن الأب يمثل القدوة داخل البيت فإذا كانت القدوة مجرمة أو منحرفة أو كانت ظالمة ومنحازة أو ضعيفة مهزوزة، فإنها تؤدي لأن تختل شخصية الابن، وتضطرب معاييره وقيمه، بحيث يرتضى ضميره لأن يتبع ما ألقى عليه أباه. كما أن الأم ذات الإسفاف العاطفي والانفعالي، والأم المهملة الغائبة التي يتيتم أبنائها في وجودها، لن ترضعهم إلا مشاعر منحرفة، فلا واقعية ولا نمو عاطفي، ولا شعور بالثقة والأمان، ولا قدرة على العطاء، ومن ثم فلا يكون الناتج إلا شاباً منحرفاً داخلاً في صراع مع مجتمعه.

ولذلك فالأسرة المضطربة التي لا تشبع الحاجات الفسيولوجية للابن منذ ميلاده والتي تتبع أساليب خاطئة في الفطام (التوقيت – الطريقة) المهملة النابذة، القاسية والمتزمتة المتسلطة في أساليب تربيتها، التي لا يشعر الابن بالأمان والطمأنينة، والتي يفقد فيها الابن استقلاليته والتي تتبع أساليب التأنيب. وبالإضافة إلى الأسر المفككة التي ينتشر فيها الشجار بين الوالدين أو المنفصلين بالطلاق، كل هذه مؤشرات تساعد على التطرف لدى الشباب فيما بعد (الجبالي، ١٩٩٠: ٥٦-٥٧).

كل هذا يشير إلى الدور البالغ الذي تلعبه الأسرة في سواء أبنائها أو انحرافهم، وتشير رزق (١٩٩٨: ١٥٦) إلى أن الدور الهام والبالغ للأسرة في تربية وتنشئة أفرادها بطريقة سليمة، سواء كانت على المستوى الاجتماعي أو السياسي، فهي المصدر الأول الذي يكتسب منه الفرد المشاعر الانتمائية، بما تمنحه من حب ورعاية وأمن، وإذا سادت الأسرة علاقات تتسم بالتكيف الأسري ساعد ذلك على التكيف الاجتماعي، وبالتالي قد يحول هذا دون الاغتراب أو التطرف أو العنف.

(٢) **المؤسسات التعليمية:** تلعب المدرسة دوراً كبيراً في تطوير القيم لدى الفرد، من خلال التفاعلات اليومية في الحياة المدرسية. فيتعلم الفرد احترام الوقت. والالتزام بالمواعيد، كما يتعلم أساليب السلوك والتعرف نحو زملائه وحيال مدرسيه، كما يتعلم من خلال الأنشطة الجماعية معنى الدور والمكانة، والقيم التي ترتبط بها، مثل القدرة على القيادة، والتحلي بالأخلاق الحميدة، والولاء للجماعة والمدرسة، وبالتالي الولاء لأي جماعة اجتماعية ينتمي إليها (رضوان، ١٩٩٧: ٧٨).

وعليه فإذا كانت العملية التعليمية في المدارس والجماعات تسير في طريقها السليم، فإنها لا شك تخرج شخصاً سليماً نفسياً واجتماعياً يقاوم كافة التيارات المتطرفة التي قد تنزل بالمجتمع، ولكن

لما كان التعليم حالياً يمر بأزمة سواء كان ذلك على مستوى المناهج والبرامج التعليمية، أو على مستوى قيمته فيما بعد التخرج أو فقدان القدوة، فإن ذلك يؤدي إلى ظهور التطرف، كما أن التعليم يعتبر دعامة من دعائم المجتمع وضامن لسلامة الأخلاق. ولذا فقد حظيت المدرسة بالسهم الأوفر في مسئوليتها عن التطرف فتدهور التعليم، وغياب القدوة الصالحة من المدرسة، وافتقاد المعلم ذو الشخصية المتميزة، جعلت المدرسة تفقد سيطرتها على الطلاب، وأهملت محاسبتهم عن الغياب، وانقطعت صلة المدرسة بالبيت، فكانت فرصة الطلاب أن يضحكوا على الطرفين، فضعف تحصيلهم العلمي مما ساعد على فساد الأخلاق، بل وأدى إلى فراغ رهيب في عقلية الشباب فاعتنقوا المبادئ المتطرفة إلى أقصى اليمين أو إلى أقصى اليسار.

وعليه فإذا دخل الطفل المدرسة ولديه استعداد للانحراف فسوف ينحرف أو يزداد انحرافاً، إذا ما ساعدت الظروف على هذا فمثلاً عدم الاهتمام الناتج عنه زيادة كثافة الفصول من أعداد التلاميذ، عدم وجود القدوة الحسنة بين المدرسين، عدم وجود تعاون بين المدرس والمنزل، عدم التطابق بين المناهج الدراسية وميول التلاميذ كل هذا يخلق من الفرص ما يدعو التلميذ أو الطالب إلى الانحراف أو التطرف (الجبالي، ١٩٩٠: ٥٧).

كما تلعب شخصية المعلم دوراً كبيراً في اكتساب التلاميذ أو الطلاب للاتجاهات المتطرفة فيشير إلى هذا كل من كيندر وسيرز Kinder and Sears (١٩٨١) في دراستهما عن التعصب والسياسة إلى أن التعصب والتطرف إنما يرجعان إلى التعلم الثقافي – الاجتماعي، فالأطفال والمراهقون يكتسبون الاتجاهات المتعصبة والمتطرفة بالتوازي مع قيمهم واتجاهاتهم السوية من البيئة الاجتماعية، وأن القوى الداخلية للاتجاهات المتعلمة مبكراً تعزز استمرار التطرف والتعصب خلال حياة الفرد فيما بعد.

علاوة على ذلك فأن المعلم لا يؤثر فقط في النواحي الأكاديمية للطلاب والتلاميذ، بل يتأثر الطلاب بصفاته، حيث يلاحظون مدى اشتراك معلميهم في الأنشطة السياسية والدينية ويقومون بتقليدهم، ويمكن للمعلمين أن يمهدوا الطريق لظهور وجهات النظر المتعصبة من خلال ما يقدمون لتلاميذهم من افكار (Muss, 1981).

موقف الإسلام من التطرف:

لم يظهر دين أو مذهب أو نظام في أي عصر من العصور إلا وكان بين أنصاره أو أعضاءه معتدلين ومتطرفين متشددين، وعلى الرغم من وجود التطرف كمشكلة في كل المجتمعات الإنسانية منذ زمن بعيد وأن له تاريخه الواضح والمعروف وخاصة في المجالات السياسية، إلا أنه لم يكن مثيراً للجدل والقلق في أي مجال بالقدر الذي أثاره عندما انتقلت عدواه إلى مجال الفكر الديني في العصور القديمة والحديثة على حد سواء وتكمن خطورة التطرف في القاعدة الفكرية والاقتصادية التي ينطلق منها، ودرجة إتساعها وتزداد الخطورة في مدى التعاطف والتشجيع الذي يلقاه هؤلاء المتطرفون في بداية نشاطهم باعتبارهم مظهراً حياً من مظاهر الانبعاث الديني أو الصحوة الدينية (شاهين ومحجوب، ١٩٩١: ٥٢-٥٦).

وقد شغلت مشكلة التطرف الديني في الفترة الأخيرة مساحة كبيرة من اهتمام كافة القطاعات

المسئولة وغير المسئولة بالمجتمع، وتنبه الجميع إلى خطورة تلك المشكلة، كما ظهر إجماع على ضرورة مواجهة تلك المشكلة بصورة حاسمة وحازمة، وتجنيد كافة المؤسسات والهيئات بل والأفراد من أجل التوصل إلى حل ناجح لعلاجها بصورة علمية وعملية شديدة الفاعلية.

معنى التطرف الديني:

إذا كان الدين الإسلامي يأمر بالاعتدال والوسطية في التعامل بين الناس والسلوك، فإن مجاوزة حد الاعتدال أو الوسطية يعد تطرف عن تعاليم الدين الإسلامي ومنهجه السمح كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]. والتطرف الديني في أبسط معانيه هو مجاوزة حد الاعتدال في السلوك الديني فكراً وعملاً أو هو الخروج عن مسلك السلف الصالح في فهم الدين، وفي العمل به، فمسلك السلف الصالح في الإسلام هو المعيار والمقياس الذي من خلاله يقاس السلوك القويم (بيومي، ١٩٩٢: ٩٤-٩٥).

ويأخذ التطرف الديني مظاهر متعددة، تبدأ بالخروج عن مسلك السلف الصالح في فهم الدين والعمل به، إلى التطرف في الفكر والعمل سواء بالتشدد أو التقصير، والخروج عن المألوف أو ما هو متفق عليه، وقد يتحول التطرف من مجرد التعصب للرأي إلى سلوك مظهري غالباً ما يستخدم أسلوب العنف كوسيلة لتحقيق الأهداف والمعتقدات التي يؤمن بها الفكر المتطرف أو الجماعة الدينية المتطرفة، أو اللجوء إلى الإرهاب الفكري أو النفسي أو المادي لحمل الآخرين على الالتفاف حولها أو الابتعاد عما يعوق ما تحاول الجماعة المتطرفة تحقيقه.

وأحياناً أخرى قد يتجاوز الفكر الديني المتطرف كل ما سبق، باتخاذ موقف ثابت ودائم تجاه المجتمع ومؤسساته، حيث يبدأ هذا الموقف عادة بالعزلة والمقاطعة المبنية على إصدار حكم فردي على المجتمع "بالردة" أو "بالكفر" أو "بالعودة إلى الجاهلية". وقد يتحول الأمر ويأخذ صورة عدائية حيث يرى المتطرف في هذه الحالة أن هدم المجتمع ومؤسساته نوع من التقرب إلى الله وجهاد في سبيله، لأن هذا المجتمع يعد – من وجهة نظر المتطرف – مجتمع جاهلي منحرف لا يحكم بما أنزل الله (شاهين ومحجوب، ١٩٩١).

وهناك من الضوابط والمحكات التي يمكن من خلالها التفريق بين المتشدد في دينه والشخص المتطرف دينياً، فقد يوصف الشخص المتشدد في دينه لاختياره رأياً من آراء الفقهاء المتشددة، مع اعترافه وإقراره بأن هناك آراء أخرى غير هذا، إلا أن تهمة التطرف الديني لا تلصق بالفرد لمجرد تشدده على نفسه وأخذه من الآراء مما يراه، أو التمسك بطريقة معينة في معالجة الأمور، فهناك من المعايير المحكية التي من خلالها يمكن الحكم على الشخص بالتطرف في دينه.

محكات التطرف الديني:

يمكن تحديد محكات التطرف الديني كما أشار إلى ذلك كل من حسن (١٩٧٤)، بيومي (١٩٩٢) في النقاط التالية:

١- الفهم الخاطئ للدين ومبادئه وأحكامه.
٢- التشدد في الممارسات الدينية بما لا يقرره الشرع الحكيم والسنة النبوية الشريفة.
٣- الافتقاد إلى المثل العليا في سلوك المجتمع.
٤- الخطأ في إدراك حقيقة المثل العليا وطبيعة المجتمعات الإنسانية.
٥- التخبط في تبسيط الأحكام أو تعميمها والافتقار إلى معيارية تقييم الأمور.
٦- غياب الحوار المفتوح والقدرة على المناقشة.
٧- سوء الظن بالآخرين، والنظرة إليهم نظرة تشاؤمية.
٨- إتباع المنهج الحر في تفسير نصوص القرآن أو الأحاديث النبوية الشريفة، والتمسك المطلق بحرفيتها دون الإلتفات إلى مقاصدها العامة.
٩- الميل إلى اعتزال المجتمع، إما لعدم مشاركتهم في النهج الجاهل – من وجهة نظر المتطرف – أو لتكوين نواة جديدة لجذب أعضاء جدد يكونون بمثابة مجتمع جديد خاص بهم يدافع عن فكرتهم ومبادئهم التي ينشدونها.

ويدين الإسلام التطرف ولا يقره، فكما أوضحت تعاليمه السمحة ومناهجه القويمة وعقائده الحنيفة هذا الرأي، وأرشدت أركانه إلى الاعتدال والوسطية في كل شيء والبعد عن أي تعصب أو تشدد، فالدين الإسلامي وسط في التشريع والنظم التي تصرف كافة الأمور الحياتية، وتحث الكثير من الآيات القرآنية على الابتعاد عن الغلو وتدعو إلى التوازن في الأخذ بالدين والعمل به وتحذر من التطرف في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقد أيدت السنة النبوية المطهرة "المصدر الثاني" من التشريع الإسلامي ما أقره القرآن الكريم في هذا الصدد، فكما ورد في الحديث الشريف ما روي عن أبو يعلى في سنده عن أنس بن مالك، أن رسول الله (ﷺ) يقول: "لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم، فشدد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات" [رواه مسلم].

كذلك قاوم الإسلام كل اتجاه ينزع إلى الغلو في التدين، وكل مبالغة في التقشف تخرجه عن حد الاعتدال الذي جاء به الإسلام الحنيف، وإذا كان الإسلام ينفرد دون غيره من الأديان في تأكيده على خاصية الاعتدال والوسطية في كل شيء، فإن حد الاعتدال الذي يعنيه الإسلام ليس منتصف متصل التدين، بل يقف طرفاً في قمته شاهداً على أن الاعتدال والتوسط والتوازن أنما ينشأ أصلاً من الأخذ بالدين على هدى وبصيرة، ويزداد الفرد اعتدالاً إذا ما تعمق تدينه وفقه أحكام دينه (حسن، ١٩٧٤).

ويتفق في هذا الصدد علم النفس مع تعاليم الدين الإسلامي في اعتبار الوسطية من بين المحكات التي من خلالها يقيم الفرد في سموه والتزامه بقيمه الإنسانية التي تدفعه إلى النشاط وتحدد له مساراً في الحياة للتغلب على المواقف الصراعية التي قد تحول بين إشباع حاجات خاصة للفرد وتحقيق قيم معينة. أي أن الوسطية هي قدرة الفرد على إشباع أو التغلب على حاجاته بالسمو بها دون أن يخل بما التزم به من قيم ومثل، فيكون معتدلاً في إشباع حاجاته البيولوجية وحاجاته النفسية والاعتدال في تحقيق قيمه والجوانب الروحية في شخصيته (عبد الغفار، ١٩٧٩).

ثالثاً: دور الأمن الفكري في مواجهة ظاهرة التطرف:

ترى الباحثة أنه عند تحليل ظاهرة التطرف، والأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة، تبين لها أن الجمود الفكري الذي يصيب الجماعات المتطرفة، وعجزها على استيعاب الآخر، وعدم مرونتها للمجادلة بالتي هي أحسن، والبيئة الاجتماعية الجامدة التي تسيطر عليها الفكر الأحادي الاتجاه، والإخفاق في استخدام أساليب التفكير السليمة، والتركيز على أسلوب التفكير السلبي والفوضوي لهي من الأسباب وراء تفشي ظاهرة التطرف ليس فقط بين قطاع من الشباب، بل أيضاً في العديد من المجتمعات البشرية عامة، وبعض المجتمعات الإسلامية على وجه الخصوص.

كما تتساءل الباحثة كيف ينتشر التطرف في بعض المجتمعات الملقبة بالإسلامية؟!، على الرغم من الإسلام يدعو إلى استخدام أساليب التفكر ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، والتدبر ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، والتعقل ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٢]، والنظر ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ [يوسف: ١٠٩]. كما يدعو إلى عدم المسايرة العمياء ﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [البقرة: ١٧٠]، كما ينادي إلى استخدام الجدل الصحي السليم ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وأباح أيضاً باستخدام الحجة ﴿ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران: ٦٦].

أو بتعبير آخر، ترى الباحثة أن الإسلام رسم منهجاً حياتياً بحيث يصبح نبراساً لمن يريد الهدى والبعد عن الضلال ﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الزمر: ٤١]. وبرغم وضوح هذا المنهج القرآني نرى جنوح فئة من البشر في بعض هذه المجتمعات الإسلامية تأخذ التطرف أسلوب فكر وحياة. ومن هنا لابد من وقفة تأملية تدعونا إلى طرح هذا التساؤل: لما تنهج بعض قطاعات من البشر في بعض المجتمعات الإسلامية إلى تبني فكر التطرف الذي يترتب عليه سلوكيات العنف والإرهاب؛ على الرغم – من الناحية المنطقية – أن هذه القطاعات من البشر ينبغي عليها أن تتمثل تعاليم الإسلام عقلاً وانفعالاً ونزوعاً؟!.

ومن ثم، ينبغي على الباحثين في علم النفس والاجتماع من تقديم التشخيص الملائم لهذه الظاهرة. وترى الباحثة أن تشخيص أسباب التطرف تكمن في محور رئيس، ألا وهو غياب الأمن؛ خاصة الأمن الفكري؛ والذي يقصد به – من وجهة نظر الباحثة – قدرة المرء على ممارسة حريته الفكرية في ضوء الضوابط التي وضعها الإسلام؛ دون تقييد أو قهر أو مصادرة لهذا الفكر، وإتاحة الحوار والمناقشة والمجادلة، والاتفاق على حرية الاختلاف دون مصادرة الفكر ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦].

وعليه، وفي ضوء ما تقدم من تحليل ترى الباحثة أن الأمن الفكري عندما يكون شائعاً في

المجتمعات الإسلامية عامة، يكون بمثابة الدرع الواقي والحصن الحصين لحماية هذه المجتمعات من أشكال التطرف المختلفة.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة التي تناولت دور الأمن الفكري في مواجهة ظاهرة التطرف في بعض المجتمعات الإسلامية إلى النتائج التالية:

١- أن دراسة الأمن الفكري وقيمه والتأكيد عليه من أبرز الدراسات التي تحتاج إليها المجتمعات الإسلامية اليوم، وتحقيق الأمن الفكري في واقع الأمة الإسلامية في الوقت الحالي.

٢- أن غرس الأمن الفكري مطلب شرعي يجب الحفاظ عليه وإشاعته بين أفراد المجتمعات عامة، والإسلامية خاصة من أجل القضاء على بعض الصور السلبية الشائعة المعاصرة؛ ومنها ظاهرة التطرف.

٣- أن المجتمعات الإسلامية في الوقت الحالي التي أهملت الاعتناء بالأمن عامة، والأمن الفكري خاصة قد خسرت كثيراً بتأثر أفرادها بقيم الحضارات الوافدة، ولو عادت هذه المجتمعات الإسلامية وللاهتمام بها لعاد إليها الكثير من عزها ومجدها المفقود.

٤- وجوب التركيز على وكالات التنشئة الاجتماعية: وخاصة الأسرة والمؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام المختلفة في غرس مفهوم الأمن عامة، والأمن الفكري خاصة بين أفراد المجتمع؛ حتى يمكن الحد من خلال الأمن الفكري التصدي لكل الظاهرات المجتمعية السلبية، ومنها ظاهرة التطرف بأشكاله المختلفة.

٥- ضرورة إشباع الحاجات الرئيسة للإنسان، وصولاً به إلى الأمن الكامل ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]. ومن ثم، يصبح هذا الإنسان غير مستهدفاً سواء لفكر متطرف أم لتوجهات متطرفة.

توصيات الدراسة:

من خلال استقراء ما تم عرضه من مفاهيم تناولت الأمن الفكري وظاهرة التطرف بين بعض المجتمعات الإسلامية، يمكن الوصول إلى التوصيات التالية:

١- ضرورة التركيز على ضرورة الأمن الفكري في التعامل مع أفراد المجتمع من أجل إفشاء السلام والطمأنينة؛ حتى تكن حصناً حصيناً ضد التطرف بأشكاله المختلفة.

٢- عقد دورات وبرامج في تعزيز سلوكيات الأمن الفكري وما يترتب عليه من آثار إيجابية على أفراد المجتمع.

٣- يجب على المؤسسات التربوية والاجتماعية والإسلامية عقد برامج توعية تهدف إلى نشر قيم الأمن الفكري بين أفراد المجتمع، وتمثلها عقلاً وانفعالاً وسلوكاً.